

اللغة العربية والتعريب العلمي آراء وحلول

الأستاذ الدكتور صالح بلعيد
عضو المجلس الأعلى للغة العربية
أستاذ بمعهد اللغة والأدب العربي
بجامعة تيزي وزو

المقدمة: : طرح الأستاذ في الحلقة الأولى إشكاليتين:

- 1- ميدان تعريب التعليم العالي: وخصّه بتحليل دقيق حول وضعية المصطلح العلمي والكتاب العلمي المعرب.
- 2- ميدان التجارب التعريبية الناجحة: وفيها طرح لأهم التجارب الناجحة التي شهدتها بعض الدول العربية، وما هي الوسائل المعتمدة لنجاح ذلك.

ويواصل في هذه الحلقة معالجة ميادين أخرى لها علاقة بالتعريب العلمي:

3- ميدان الحوسبة والمعلومات:

يستدعي الكلام هنا الولوج في القضايا الحاسوبية المعقّدة، ولكن الذي يهمنّا هو مسألة اللسانيات الحاسوبية وتكنولوجيا اللغة في ميدان استغلال المنطق والرياضيات، باعتبار اللغة نظاماً غاية في التعقيد تحتاج من أجل تحليلها وفهم أدائها واستغلالها وتحسينها إلى فهم هندسي؛ لأنّ الهندسة فنّ السيطرة على النظم المعقّدة.

وتستهدف اللسانيات الحاسوبية تمكين التعامل مع الآليات بلغاتها الطبيعية باستعمال التحليل اللغوي الذي يمكّن من استخلاص المعلومات المحمولة من طرف الإشارات التي تكوّن النصّ، والتي تخضع في تركيبها إلى قواعد اللغة. كما تعمل على أداة التوليد التي تعمل على إنشاء النصوص ضمن لغة معيّنة انطلاقاً من المعرفة المتمثلة في عناصر مربوطة بعلاقات مختلفة قد تكون لها بنية تشكيلية مجردة ومستقلة عن كل تطبيق معيّن¹. ومن هنا فلسنا في حاجة إلى تأكيد أهمية اللسانيات الحاسوبية التي تعمل على مكننة اللغات، وهي القدرة على إعطاء الوصف الصحيح لنظام اللغة، ولأنّها الوحيدة التي تلاحق العملية الإبداعية التي تبني عليها القواعد الصورية للغة.

ومن هنا سوف أتحدث عن تلك الوثبات العلمية التي تحققت في ميادين علوم الحاسوب وبخاصة النظريات الآلية في تصميم لغة البرمجة ونظم التشغيل. هذا الكمّ المعقّد يدخل في ظاهرة انفجار المعلومات، وتضاعف معدلات تدفقها، مما خلق ضرورة استحداث وسائل بالغة الكفاءة لتنظيم هذا الفيض المتزايد من المعلومات المتنوعة، وزيادة كفاءة تخزينها واسترجاعها حالة توظيفها.

ومع ظهور النظم الآلية الخبيرة التي تحاكي مهام الخبراء البشريين، وظهور اللسانيات الحديثة وعلوم الحاسوب والرياضيات وعلوم المنطق وفّرت العديد من الوسائل المنهجية، ولقد استغلت من قبل العلماء اللغويين في نماذج لغوية متطورة تعمل على جعل اللغة أياً كانت تنال نصيبها من المنطق والرياضيات. وكان تشومسكي "أكبر مفجر للتكنولوجيا اللغوية بدءاً من سنة 1957، وأضاف طلابه وأتباعه مزيداً من تقييس اللغة ومعالجة قضاياها العميقة والسطحية. وأمام ما حقّقه اللسانيات الحاسوبية تعالت أصوات تدعو إلى العمل على تمثيل هذه النظم في العربية بترسيم المعارف اللغوية في شكل أنظمة آلية لتتعامل بها الآلة باستعمال اللغة العربية.

ولقد لعب الذكاء الاصطناعي دوراً في تمثيل المعرفة العلمية الآلية وفي إقامة نماذج حاسوبية لفهم الأداء الشامل لمنظومة اللغة أياً كانت. ومن هنا دخلت العربية في تعريب الحاسوب والبرمجة وذلك لوضعها الألفبائي ومرونتها وخصائصها الصرفية والنحوية، فكان أن وقع إحلال شبه ميكانيكي للعربية محلّ نظم الإنجليزية، فاستغلت النظم الإنجليزية

البسيطة في العربية، وبُسّطت العربية بالتقليل من عدد أشكال حروفها. ولما رأت المؤسسات العربية ما يقوم به الخبراء اللغويون لتقديم الخدمات لكل اللغات كان عليهم أن يدعوا إلى وضع البرمجيات في مختلف علوم العربية، بالتركيز على البحوث اللسانية وفي حقل اللسانيات الحاسوبية بالذات، وبالتركيز على البرامج التطبيقية، وهذا لحصول تعريب الحاسوب. ومن ذلك جاءت مشاريع كثيرة تعمل على تطوير الأنظمة والبرمجيات العربية ونشير في هذه النقطة إلى مشروع معتبر، وهو مشروع الفهم الأوتوماتي للغة العربية المكتوبة، كان هذا منذ 1985، وقد اعتمد فيه على:

1- المعالج الصرفي الآلي المتعدد الأطوار Morphological Processor .

2- المعجم العربي الممكن الذي يشتمل إلى جانب المعطيات الصرفية على تلك المتعلقة بالنحو والدلالة وذلك باستخدام نظام السمات . Features

3- المعالج النحوي الآلي المتعدد الأطوار الذي يقوم بإعراب الجمل وتشكيلها تلقائياً.

وهناك مشاريع أخرى تظهر نتائجها في النوافذ العربية المتطورة التي يقودها برنامج صخر بالاشتراك مع مايكروفت، ولكل مشروع تحديات كان يجب أن تعالج على مستوى المؤسسات، لأنّ ذلك يحتاج إلى جهود جماعات متكاملة في علوم الحاسوب، وإلى جهد مالي وفير.

وعلى العموم فإنّ هذه الجهود تتطوّر يومياً، ومن الصعوبة ملاحقة ما تدره البرمجيات في هذا المجال، ولا يمكن ملاحقة هذا الجهاز الصغير والمعقد جداً والذكي في بعض الحدود، فهو يسعى إلى تفسير الظواهر اللغوية وتحليلها منطقياً ورياضياً، ب:

- إقامة نماذج حاسوبية لفهم الأداء الشامل لمنظومة اللغة العربية.
- الاهتمام بنظم الترجمة الآلية كمختبرات علمية لفهم أداء اللغة العربية وعلاقاتها.

- الاهتمام بالإحصاء اللغوي.
- الاهتمام بقواعد البيانات العربية التي تتعامل مع النصوص الكاملة للوثائق.

- تطبيق أساليب الذكاء الاصطناعي في التعامل مع اللغة العربية غير المشكولة.

- تحليل دقيق لخصائص العلاقة بين اللغة العربية وتقنيات المعلوماتية وتطبيقاتها.

- دفع جهود تقييس المعلوماتية بالوطن العربي.
- إدخال اللسانيات الحاسوبية في الجامعات والمعاهد ومراكز البحوث العربية وإنشاء لجان متخصصة في المجامع اللغوية.

- الاهتمام ببحوث استخدام اللغات التطبيقية في برمجة الحاسوب ونظم استرجاع المعلومات.

- إعطاء الأولوية للغة الفصيحة المكتسبة كتمهيد للدخول في مجالات معالجة اللغة المنطوقةⁱⁱⁱ. وعلى كل فإنّ نقائص كثيرة ما زالت عالقة في البرمجيات، وهذا يعود إلى أنّ المؤسسات العربية أغفلت نوعاً ما الجانب

التقني من اللغة، كما لم تسدّ الخدمات الحضارية لعلم الحاسوب، فتنتظر ما يوجد عليها في لغتها من الغرب. ومن هنا بقيت تحديات كبرى كان يجب أن تسدّ من قبل الفرق العلمية العربية، وهذا لتفعيل اللغة العربية أولاً من حيث جمع الاستخدام اللغوي للغة العربية ورصيدها اللغوي، والعمل على وجود بنوك المعطيات^٧ على مستوى كل دولة عربية، وإنجاز الذخيرة اللغوية التي تنتظر التمويل، والمعاجم المتخصصة، وتدريس اللسانيات والمعلوماتية في الجامعات العربية.

وعلى العموم نقول إنّ هذه التجارب لقيت رواجاً ونجاحاً معتبراً كونها تخضع للمراجعة الدائمة من قبل المختصين، وكذلك تعمل على الدوام بـ: "1- انقياد القوة العالمية للتدريب بسهولة، وقدرتها على الاستيعاب لدى التعامل مع التكنولوجيات المعقّدة نسبياً.

2- علاقات تجارية وثيقة مع الولايات المتحدة الأمريكية واليابان، وكل منهما سوق كبيرة.

3- الاستغلال التام للفائدة التقنية الناشئة عن التصنيع بوقت متأخر.

4- القدرة على التكيف مع البيئة الاقتصادية الدلالية التي دعمتها الحكومة بقوة، وأمنت للأجانب مناخاً ملائماً للاستثمار^٧.

وهكذا نجد أنّ علم الحاسوب هو من الضرورة بمكان استنباته في الوطن العربي وتقديم المساهمة العلمية لتفعيل اللغة العربية التي ينظر إليها على أنّها لغة المنافسة، والتي تقود القطب الشرقي الإسلامي في إطار العولمة اللغوية التي تقودها اللغة الإنجليزية.

رابعاً- ميدان الاتصال وتعريب الإعلام

نتحدث في هذه النقطة عن علمية الاتصال الإعلامي، وكيف تحدث تأثيراً في المستمع أو المشاهد ومن هنا يظهر دور وسائل الإعلام في عملية التعريب في المستقبل. وهذه الوسائل تأخذ أبعاداً كبرى في نوع اللغة التي يسمعها التلميذ أولاً، وفي اللغة التي تستعمل في الإعلان ثانياً وفي سلامة لغة الصحفي ثالثاً.

الاتصال البشري هو الوسيلة التي يتبادل الناس بواسطتها المعلومات والمشاعر والأفكار وأبسط تعريف للاتصال يكمن في "نقل معلومة من مرسل إلى مستقبل بكيفية تشكل في حد ذاتها حدثاً، وتجعل من الإعلام منتوجاً لهذا الحدث"^{vi}. وتتكوّن العملية الاتصالية من:

- * مرسل: وهو الباث للرسالة يكون فرداً أو جماعة أو حيواناً أو آلة.
- * متلق: الذي يستهدف من عملية النقل الاتصالية.
- * رسالة: موضوع النقل الاتصالي. وبها نبثّ مشاعرنا الانفعالية، ويجب أن تكون ملائمة للمرجع وللمخاطب وللموقف الاتصالي وتكون مقبولة من طرف المخاطب.
- * القناة: الوسيلة المعتمدة في النقل.
- * المرجع: يتكوّن من السياق/ الموقف الاتصالي. فلا يمكن أن تحدث عملية الاتصال إلا بوجود سجل معرفي وقيمي له مضامين ودلالات متعارف عليها.
- وأغراض الاتصال هي:

- الإخبار .

- التعبير عن المشاعر والعواطف.

- التأثير في الآخرين .

- الاستجابة لتوقعات الآخرين .

ولقد ولّى ذلك العهد الذي كان فيه التمجيد للرؤوس المملوءة بالمعارف، وأصبح الهدف التربوي الآن توحي العقول المنظمة وفق تعليم منسجم قائم على تشغيل كافة قدرات المتعلم وقيمه الوجدانية والسلوكية "وفي هذا الاتجاه يمكن النظر إلى الفعلين التربوي والتدريسي وإلى تطوّر النظريات التربوية، كسلسلة من المحاولات الاتّصالية الرامية إلى تجاوز عمليات الترويض والتلقين والنظام الصارم المميّز للطرائق التقليدية، وتبني أشكال اتّصالية قائمة على إشراك المتعلم بكفائته ومهارته في بناء الممارسة التربوية...^{viii}. وهكذا يأخذ الاتّصال التربوي أشكالاً متنوعة بالتركيز على المرسل أو على القناة، أو على المستقبل أو على العلاقات المتبادلة في إطار شبكة عامة باعتبارها تمثل مجموع العلاقات الاجتماعية بين المربي والمتعلمين لتحقيق أهداف تربوية داخل بنية مؤسسية متضمنة لخاصيات معرفية ووجدانية. ومن هنا يمكن النظر إلى موضوع الاتّصال في المنحى النفسي والاجتماعي بدراسة العلاقة بين اللغة والفكر، ولذا كان يجب أن تكون عملية الاتّصال بشكل دائم بالفصحى أولاً ونعرف ما للفصحى من تكوين سليم في لغة التلميذ، وكذا دور الألفاظ التي يديرها التلفاز لملكة التلميذ.

وأما الإعلان فله خصوصياته منذ أن أرسى دعائمه كل من: Shonnon و Weaver و Weiner بحكم اختصاصهم كمهندسين رياضيين وإحصائيين؛ حيث أولوا الجوانب التقنية المرتبطة بنقل المعلومات ودرسوا عمليات الترميز، وقياس المعلومات ووضعوا ترسيمات للرسالة وكيف تنتقل من بُعد لآخر وتشتغل كل رسالة ضمن ترسيمة ووفق قواعد نحوية وتركيبية ودلالية لحصول الترميز Normalisation ضمن السنن اللغوية والقناة المستعملة في الاتصال، لحصول ردّ فعل في المتلقي الذي تختلف وتتباين أهوائه ومستوياته، فكان واجباً أن تتوسّع دائرة دلالات الألفاظ وتحميلها من المعاني الجديدة ما لم تكن تدل عليه من قبل، بلا تكلف ولا تحمّل، ولا يعني ذلك نقضاً ولا هدماً للقواعد أو الأصول، بل هو أسلوب تقبل الرسالة دون أدنى جهد. ومن ذلك يحتاج الصحفي إلى حذاقة لفظية في: الاسترسال واختيار العبارة السهلة الخالية من اللفظ الغريب، باستعمال اللفظ البسيط. لأنّ عمدة الإعلان هنا هو التوجه إلى الجمهور الغالب من الناس.

وأمام هذا السرد البسيط لعملية الاتصال، ونعرف أنّ الإعلام يشكل القوة الرابعة في الأثر الذي يحدثه في بلاغ أو نداء (لاحظ ذلك في: وكل شيء ممكن. أو في المجلس. أو في قول المذيعة: إنّ الرئيس يحدثكم...) نجد اللغة التي هي أبرز وسائط الاتصال وأبعدها أثراً تصاغ اللغة بكيفيات خاصة في تراكيبها وأساليبها وفي أفكارها ومعانيها. وتارة

تخرج عن النمطية المعروفة ويستغلّ اللغوي بذلك بقوله: هذا أسلوب صحافي.

ومع كل ما يقال فنعرف أنّ الإعلام لم يعيش بمعزل عن المحافظة على اللغة والعمل على نشرها حيث يأخذ البعد التأثري في المستقبل، ويدعوه إلى قبول أمر بعينه، أو يحاول إقناعه بلغة بسيطة لم يقم على صدقها دليل سابق، ولذا تصدق لغة الإعلام أياً كانت محاسنها وهناتها لما لها من بسط للحقائق، حيث إنّ ألفاظ الإعلام عادة ذو خاصيتين هما:

- 1- كلمات ذات رنة يتداولها الناس بكثرة، وليس من الضروري أن يكون معناها مفهوماً أو واضحاً عند الذين تلقى عليهم.
- 2- كلمات جديدة ذات سهولة في اللفظ أو غرابة في اللفظ أو قوة لفظية^{viii}.

وأمام هذه الجدة والخصوصية نجد لغة الصحافي تعمل على تجديد اللغة وتطويرها من باب إعطاء ديمومة الحياة فيها. فنجد من الصحافيين من يجتهد في مخاطبة الجمهور باللغة المنقبضة ولكنها لا يفلح في الاستمرار لأنّ المقام يدعوه إلى الاسترسال ومخاطبة كل الفئات ولذا تطلّبت الضرورة النزول باللغة المقعّرة إلى مستوى يقبله المستمع. وهناك من الصحافيين من يفضلون استعمال ألفاظ كثيرة تؤخذ من اللغات الأجنبية، وتطلق بلا تمييز على ما يوافق معانيها أو لا يوافق معانيها. وإنّ اختيار ذلك يعود إلى الانجراف في تيار الإعلام المدهش ممّا يخلق

الخطأ الطارئ، وإذا ترك الخطأ الطارئ دون تصحيح لا يعيق عملية التواصل، وبعد تكرار الخطأ سيحصل التصويب؛ لأنّ الصواب هو الأصل، والخطأ طارئ. فلا مخافة من تلك الأخطاء التي لا تؤدي إلى المساس بالأصول، بل لابدّ منها. وعلماء اللسانيات يحكمون على اللغة بالصحة والخطأ، ولهم في ذلك مذاهب:

"المذهب الأول هو الذي يستهدي بالتاريخ الأدبي، وفيه تقاس الصحة اللغوية بمقدار الموافقة لما كان يجري على ألسنة الشعراء وأقلام الكتاب وآثار الأدباء الأقدمين.

والمذهب الثاني وهو الذي يسترشد بالتاريخ الطبيعي، وهو يرى أنّ اللغة كائن حيّ يتحوّل تحوّل الكائن الحي ويتطوّر دائماً إلى ما هو أحسن، واللغة بهذا الاعتبار تتطوّر وتتحوّل إلى ما هو أحسن وأفضل في جو من الحرية التامة التي لا تقيدّها قوانين ولا تتحكّم فيها ضوابط وعلى هذا المذهب فليس في اللغة صحيح وغلط، ما دام التطوّر يقضي بالجديد في الاستعمال، وتحكم له بالغلبة على الألسنة والأقلام.

أما المذهب الثالث فهو الذي يصحّ أن يطلق عليه المذهب الاجتماعي أو النظرية الاجتماعية. وفيه يحكم بصحة اللغة وسلامتها وفصاحتها وبلاغتها بمقدار ما يؤدي إلى فهم السامع ويصل إليه ويبلغه مراد القائل في دقة وفي سرعة وبمقدار ما في أدائه من يسر وسهولة^{ix}. ورغم ما تدره لغة الصحافة فإنّها سيف ذو حدين معلق فوق الرقاب، ولكن لا نهضة بلا لسان متطوّر. ولذا يجب أن نعرف أن لغة الصحافة كانت دائماً تعمل على تجديد اللغة وإمدادها بفيض من التيسيرات "وإني

أعتقد أنّ أكبر تطوّر عرفته لغتنا العربية في عصرنا الحاضر، كان على يد الصحفيين ومحرري الصحف، فإنّ هذه الطبقة من حملة الأقلام تواجه عملاً راقياً يتطلّب منها إنتاجاً يومياً متنوعاً يملأ أنهر الصحيفة على اختلاف صفحاتها من إخبارية وسياسية وأدبية واجتماعية واقتصادية وغيرها، ومن ورائها آلة الطباعة التي لا ترحم وهي كالغول لا يشبعها شيء، فكلما أطعمتها بما تظن أنّ فيه الكفاية تقول هل من مزيد، وعمل من هذا القبيل ليس كعمل الجامعي في تطلّب المصطلح ولا كعمل المجمع في تخريج هذا المصطلح على روية في الأمر وسعة من الوقت، بل هو وحي اللحظة وتفكير الآونة، فإن أخطأ فله العذر وإن أصاب فهو يستحق جزيل الشكر، والواقع أنّه مصيب في غالب الأحيان، وخطؤه -إن كان- لا نسبة بينه وبين صوابه الكثير الغامر، بدليل أنّه لا يفتن له إلا الخبر الماهر^x. وأما أن نجعل القيود الصارمة في وجه هذه اللغة بفيض من النمطية: قل ولا تقل. هذا ما قالت به العرب. ليس لنا أن نقيس إلا ما قاست عليه العرب. لا يمكن قياس الحاضر على الحاضر. أسلوب الصحافي لا يعتدّ به. لا تقل هذا. الخطأ وشم في وجه المتحدث... إن ذلك تحديد لشاعة اللغة التي لا حدود لها، فهي تخضع في كل مكان وزمان للتطوّر، رغم أنّ المكتوب منها لا يتطوّر سريعاً، ولا يخرج عن الأصل.

إذن لغة الصحافة والإعلام عامة يستحسن حمايتها بالعودة إلى الصواب اللغوي في إطاره المفتوح بقبول توسيع القياس وإجازة توسيع الدلالات وخلق أساليب جديدة خاضعة للبيئة وتوظيف الجمل القصيرة،

خاصةً الجمل الخبرية^{xi} التي هي أصلح الجمل لنقل المعلومات. والخبر يكون بالإثبات أو بالنفي أو بالتأكيد، وما عداها فإنّ الجمل الطلبية هي الأصلح.

وهكذا أقول إنّ من يحاول إيقاف هذه اللغة فهو يعمل على إيقاف الاجتهاد والتفتح على العصرية ومن يرى بأنّ لغة الصحافة هي هدم للغة المدرسة يقف ضد تيار التطوير، لكن أن تحصل مراعاة:

- قصر الجمل.
- فعلية الجملة الخبرية.
- التحكّم في آليات الترجمة.
- استعمال التراكيب المألوفة.

وإذاً القضية ليست في تصحيح وزن صرفي أو اختيار لفظ أفصح من الآخر، أو تأكيد قاعدة نحوية، بل القضية مصيرية وبالتالي تستوجب بنیان أجهزة الإعلام والتثقيف حسب المعايير العصرية باستعمال اللغة المقبولة البسيطة التي لا تخلّ بالأصول.

خامساً- ميدان التحكّم في اللغات الأجنبية:

تنصّ كل خطط التعريب القومية على أنّ التعريب لا يعني الانغلاق على اللغة العربية فإنّ كل لسان بإنسان، والذي يملك لغة واحدة اليوم مثله مثل الأعرج أو الأعور. والتعريب لا يعني مقاطعة اللغات الأخرى، بل هو دعوة لأن تملك الأمة إرادتها وتحترم نفسها، وألا تفقد هويّتها بضياغ لغتها وهو حتم علينا أن نتخذ الخطوة الجريئة من أجل تحقيق التوازن بين الفكر واللسان، وبين المعرفة واللغة، وإلى تحقيق التفاهم

بين أفراد المجتمع كافة من حيث الوحدة الفكرية والثقافية والشخصية المتميزة.

ومن هنا وقع الاهتمام باللغات الأجنبية على اعتبار أنها المتنفس على الثقافات العالمية، وبها تحصل المثاقفة العلمية، فكان لازماً تعلّم اللغات الأجنبية في إطار اللغة الأم حتى لا تعطى اللغة الجديدة ولاءً معارضاً للأصل، ولذا جاء أمر إتقان لغة أجنبية أو أكثر أمر جوهري لكل جامعي؛ لأنّ ذلك يفتح للدارس أو الباحث نافذة على منشورات العالم وأحداثه، فتتوسّع آفاق معرفته. وبها لا يكون منقطعاً عن ملاحقة المستجدات. وهذا ما يعطي لنا حق نشر العربية في الشعوب الإسلامية لنعيد لها انتشارها السالف، ولتزوّد اللغات الإسلامية بمصطلحاتها الغنية. لكن أية لغة نتعلّم في ظلّ هذا الزخم اللغوي الكثير والذي تنشره وسائل الإعلام، وتبذل من أجلها كل الإمكانيات من أجل تمكين لغاتها في المجتمعات الأخرى؟

يبدو لي أن نكون برغماتيين^{xii} في التعامل مع اللغات الأجنبية، وهذا ضمن خطة متميزة بالنظر إلى:

* علمية وعالمية اللغة.

** النفع من ورائها.

*** تعاملنا الاقتصادي والثقافي.

علينا أن نعلم أنّ الإنجليزية الآن واسطة علمية وعالمية للاتصال بالأوساط العلمية وملاحقة الركب وهي اللغة العلمية الأولى في السيطرة على مختلف العلوم، بل لها عولمة اللغات، فهي حاجة ملحة اليوم للعالم

من أية لغة أجنبية أخرى نظراً للمواصفات العلمية والعالمية التي تمتاز بها عن اللغات الأخرى، ومن هنا هل يمكن اعتبارها اللغة الأجنبية الأولى في الجزائر؟

أعود لأذكر بالوضع اللغوي الذي مرّت به الجزائر والذي يختلف عن المشرق؛ حيث فرضت اللغة الفرنسية عنوة، ودخلت كل أسرة جزائرية وأصبحت مكسباً عند البعض، فمن الصعوبة التخلّي عنها مهما أبدت له من نقائص. علماً أنّها تحتلّ الرتبة الثامنة في نشرة اليونسكو، وإنّ علميها لا ينشرون مقالاتهم بها، ولكنّا نتمسّك بها في المغرب العربي لعوامل جدّ معقدة. والقضية الأهم في هذه النقطة هي مدى الاستفادة منها في التعليم العالي. قلت يجب أن نتعامل مع اللغات بشكل نفعي، فكل لغة وجدنا لها تضرعاً في علم من العلوم علينا اعتمادها لغة أساسية، حيث ندرس بها مواد بصفة إجبارية ونَتَّخِذُها اللغة الأولى في ترجمة المواد المتضلعة فيها، ولا يعقل أن ننكر في هذه النقطة قدرة اللغة الفرنسية في مسألة الحقوق والسياسة والسياحة والفنون. وأما جانب العلم بمعناه التقني فهي تأخذ من الإنجليزية والألمانية واليابانية. وهكذا ندرس ونأخذ من الإنجليزية الجانب التقني، ومن الألمانية الجانب التربوي ومن الإيطالية الجانب البحري، ومن الأسبانية الجانب الجغرافي ومن الفارسية والتركية الجانب التراثي، ومن اليابانية الجانب البنزاسي والاتّصالي... وهكذا نجد أنفسنا أننا:

- لم نصنّف اللغات الأجنبية.

- نوظف كل لغة تقدم لنا خبرة تقنية.
- نستعمل لغة ما بصفة مؤقتة، ونحن أحرار أن نتراجع عن تدريسها متى انتهت المصلحة.

لكن ما يلاحظ اليوم في جامعاتنا اعتمادنا الكامل على اللغة الفرنسية على أساس أنها المرجع، بل نترجم الكتب منها وهي تترجم من اللغات الأخرى، في الوقت الذي يجب أن نأخذ من الأصل. كما نجد توظيفاً أعمى للمناهج الغربية وهي في الأصل أوجدته اللغات الأجنبية لخواصها الذاتية، ونحن نجتهد في إقحامها عنوة على العربية دون تكيف والأدهى من هذا أنه بعد أن تحررت البلاد العربية من النفوذ الاستعماري لا يزال النفوذ الفكري يزين لأهلها ويغريها بمدارس تقوم على دراساتها وبرامجها على اللغات الأجنبية فضلاً على المدارس الجديدة التي تسمى بمدارس اللغات. وليس لنا القدرة على التحرر من سيطرة اللغات الأجنبية، و التعريب يستدعي التحرر الكلي من هيمنة اللغات الأجنبية أو إحلالها محلّ اللغات الوطنية، خاصة في الميدان العلمي، كأنّ لغاتنا لا تصلح إلا للمشافهة أما الميدان الاقتصادي والإنتاجي فهو متروك للغة أفضل هي الأجنبية! ومن هنا يحصل الهجوم على اللغة العربية يومياً كونها تزامم اللغات العالمية في أصالتها وعلميتها، وكتابة أكثر من 80 لغة عالمية بحروفها.

ومع كل الذي قلته، أرفع نداءً حاراً: ارفعوا الحصار على العربية لتصبح لغة الحياة اليومية ولغة البحث.

الخاتمة: إنّ الأمر في تفاقم متواصل بسبب السياسة اللغوية التي لها فجوات معتبرة ومن هنا فإننا في وضع لا نحسد عليه، ويجدر بنا التخطيط لتجاوز العقبات دون إضاعة الوقت ولا هدر الطاقات في بعض القضايا التي لا تغدو أن تصبح جزئية مقارنة بالمسار العام. وأريد التنبيه إلى دوامة التخلف الذي نعيشه بسبب التخلف اللغوي، والذي كان أحد أسبابه التراجع عن سياسة التعريب. وإنّ أية نهضة علمية عربية في المستقبل لا تعدو أن تكون وهماً وسراباً، وتحقيقها لا يدخل في باب المعجزات. ولقد آن لنا أن نستكمل الشوط، ونؤدي الرسالة كاملة ولقد أثبتت التجارب الناجحة أنّ السبب الوحيد لتعريب لغة العلم هو الإرادة التي تقهر الصعاب.

وفي الأخير أقول إنّ الدعوة إلى التعريب قضية قومية، ومن هنا فإنّ نجاح العملية التعريبية تكون قومية فوجب أن تتضافر الجهود العربية من أجل عملية التعريب. وأقترح الآتي:

1* الإنفاق بسخاء على تربية الأجيال، لأنّها هي التي تعطي لنا مدرساً جيداً وكتاباً علمياً ومصطلحات علمية، وترجمة مثلى. ولو نعلم ما أنفقته أمريكا على البحوث عامة لدهشنا من الفتات المالي الذي ترصده الدول العربية مجتمعة للبحث العلمي.

2* جمع المصطلحات التي تضعها المؤسسات العربية والعمل على تنسيقها لتوحيدها. ووضعها في البنوك المصطلحية العالمية.

3* إصدار مجلات علمية متخصصة لاستعمال المصطلحات الجديدة. وفكّ الحدود عنها.

- 4 * تشجيع البحوث التعريبية، وضرورة توحيد التشريع لتعريب التعليم باللغة العربية.
- 5 * العمل على إكمال الجهد في وضع المعاجم العلمية المتخصصة باللغة العربية واللغات الأجنبية
- 6 * توجيه عناية خاصة إلى ترجمة مجموعات متكاملة من أمات الكتب والمراجع العلمية الأجنبية.
- 7 * ضرورة إعداد ملخصات باللغة العربية لجميع البحوث والدراسات التي تنشر باللغات الأجنبية في المجالات العلمية المختلفة.
- 8 * السهر على بعث نشاط علمي وجامعي عربي على منوال الجامعات الناطقة بالألمانية.
- 9 * السهر على تكثيف التخاطب بين الجامعات والجامعيين العرب.
- 10 * بعث مؤسسات جامعية عربية تعمل على دعوة الجامعيين العرب المهاجرين إلى المساهمة في التدريس فيها.

□ - للتوضيح " ينظر يحيى هلال "العلاج الآلي للعربية وتطبيقات" مجلة التواصل اللساني. الدار البيضاء 1990، مطبعة النجاح الجديدة، المجلد الثاني، العدد الثاني، ص 21.

□□ - نذكر بالمقاييس التي تدرس الآن في العلوم اللغوية، وتعمل كلها على نمذجة اللغات لاستخدامها في الحواسيب:

- النحو الوظيفي.
- النحو الطبقي.
- النحو العلاقي.
- النحو التوليدي التحويلي.
- النحو الإعرابي.
- نظرية الربط العاملي.
- نحو شبكات الانتقال المعززة.
- النحو المقولي.
- نحو البنية العامة للجملة.
- نحو توحيدي ترابطي.
- نحو بنية الجملة المعتمدة على الرأس...

□□□ - نبيل علي "المجامع العربية والحاسوب" الموسم الثقافي الثامن، ط1.

عمان: 1990، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص 123-124.

□ - هناك بنوك معطيات بسيطة، وتعدّ قليلة قياساً بما تتوفر عليه فرنسا وحدها مثلاً:

- بنك باسم السعودي BASM عمل الأستاذ محمود إسماعيل صيني.

- مصطلحات الاتصال RAB عمل الأستاذ رشاد الحمزاوي.

- بنك بيت الحكمة بتونس.

- بنك لجنة توحيد المصطلحات العسكرية السورية.

- بنك صخر العربي.

- ما تنتجه شركة العالمية.

إضافة إلى ما يستقبل في الوطن العربي عن طريق **Internet** وإنترايت العربية. ولكن هذا ليس كافياً وليس قياساً بالغرب، بل قياساً بالثورة الهائلة والمعلومات المطروحة في كل مكان تلاحقنا بالعلم حيثما تواجدنا أو ارتحلنا.

□ - عبد المجيد نصير "التعريب ضرورة تنموية" الموسم الثقافي الثامن، ط1.

عمان: 1991، منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ص 18.

□ - Escarpit, Introduction à la théorie générale du l'information et de la communication. Paris: 1976, Hachette , p 100.

□□ - ميلود حبيبي، الاتصال التربوي وتدرّيس الأدب دراسة وصفية تصنيفية للنماذج والأنساق. ط1. الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ص 73.

□□□ - عمر فروخ "فجر الإعلام في اللغة العربية" مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. القاهرة: 1979، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الجزء 43، ص 35.

□□ - أحمد عبد الستار "اللغة المصفاة" مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. القاهرة: 1983، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الجزء 51، ص 110.

□ - عبد الله كنون "الصحافة وتجديد اللغة" مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة. القاهرة: 1983، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، الجزء 51، ص 126.

□□ -الخبر: وجب أن تكون العناية به صوغاً وأداءً من حيث سلامة لغته وجودة أدائه، منه يأتي الخطأ الذي يصبح عدوى اللغة.

□□□ - ينظر: مقالاتي الموسومة " رأي في تعميم استعمال اللغة العربية" مجلة التعريب. سوريا: 1998، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر العدد 16.